معرض أيمن يسري... هذا ليس «علَمْ»!

□ جدة - خالد ربيع

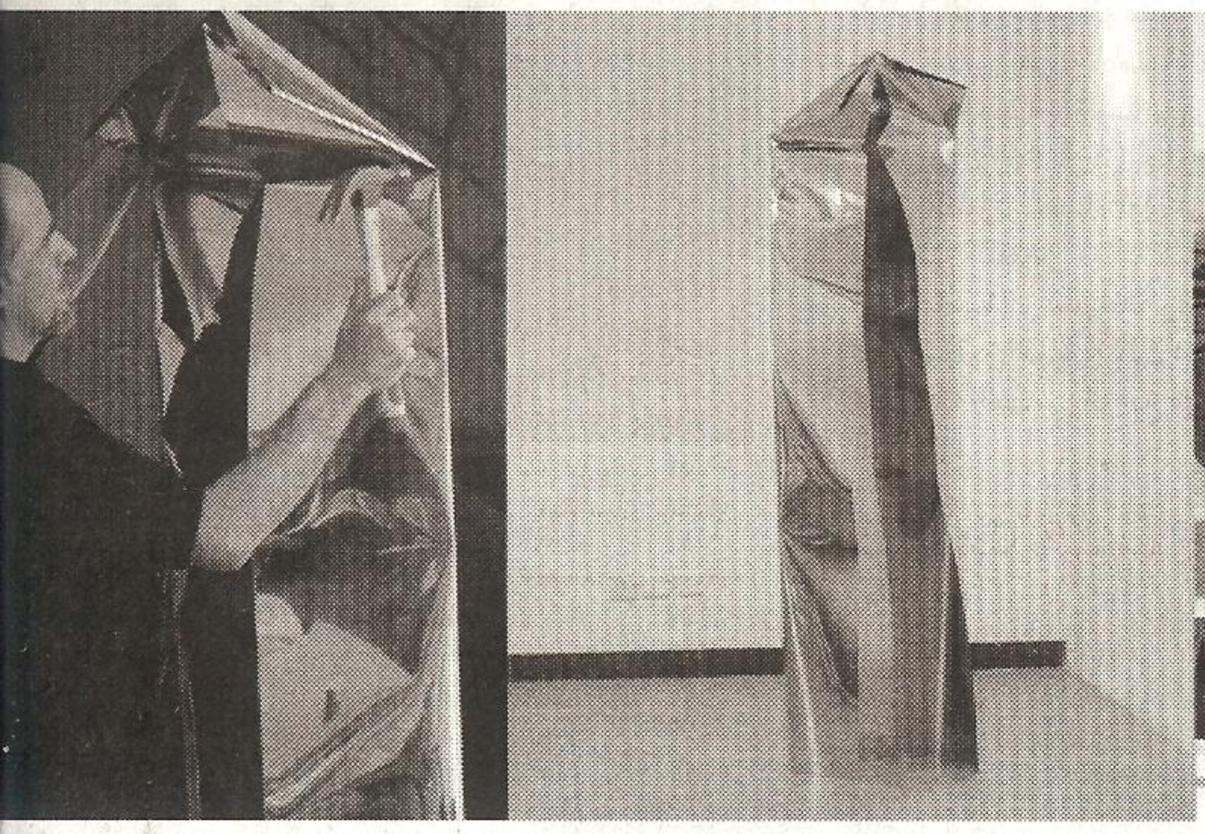

أيمن يسري خلال تنفيذ أحد أعماله الفنية.

■ يُعبّر أيمن يسري - ديدبان، في عرضه لمفاهيمي الأخير بغاليري أثر، وبمعرض «إيدج وف أرابيا» بجدة، بعنوان: «أنا أي شيء أنا كل شيء»، عن بعد غائر في جوانيته الدفينة، رحلته لإدراكية لاكتشاف نفسه، وبحثه المضني عن هويته، عن علم يرمز لكينونته كإنسان مستقل ومندغم في آن واحد. وبدءاً من العنوان يجد لزائر نفسه أمام المعنى المختبئ بين المجسمات لثمانية عشرة وعلاقتها بالعنوان المتماهي مع ناه المعلنة، غير أن هذا المعنى يلتبس مع اللغة لبصرية لهيئة مجسماته الصفيحية المرآوية، كيف تكون هذه الأسطح عاكسة لعالم الفنان لثابت والمتحول؟.

ما يمكن استيعابه ببساطة أن العمل لفني المتأسس في المعرض غير متحقق في ضافة قيمة جمالية، أو في تقديم تقنية مستحدثة ي طي وفرد أو طرق أو وضع أو ترتيب المجسمات لصفيحية اللامعة، إنه عمل خارج عن التناسق لمورفولوجي سواء الارتجالي أو المنظم لهذه لألواح. إذ يتحقق الاستدلال الفني في فكرة العمل لمتمثلة في الشروحات المكتوبة في الكتاب لتذكاري، الصادر عن دار المحترف السعودي، مقدمة ومحاورة الناقد الهولندي روبرت كلايفر، إن كان لم ينفذ إلى جوهر الرؤية - ومن ثم لقراءة الاسترشادية له، ووضع الفكرة في سياق لفن البصري ضمن تركيبها المادي في الفراغ، ي السعي نحو تحويل الفن البصري إلى مغزى قافي وفلسفي ووجودي، فلغة الفن في المعرض سير متخلقة فقط في الأشكال والموجودات، بل هي كرسة أيضاً في مفهومه ورؤيته وطرحه للتجربة لحالة الشعورية التي يخوضها، وهو جوهر ا قاله الفيلسوف الألماني «هيجل» من أن» الفن دعونا للنظر فكرياً، وليس لهدف ابتكار فن جديد، لكن ليعرفنا فلسفياً على ماهية الفن».

والمجسمات، ببعض الشك، تبدو في شكلها لمطلق مظرفّات لرسائل كبيرة تتخذ عدة وضعيات، وفي تحوراتها السينوغرافية تبدو مثلات جدلية تتأرجح بين الطي والفرد، إن لم كن محيرة وباعثة على التساؤل. ولكن بشيء من لتأمل المتيقن، وبعد التسليم للتخييل الإيعازي، ستبدو أعلاماً ورايات مموهة المعالم ومسلوبة لألوان في خامة عصية على التشكيل، لتظهر مختزلة وشاخصة، فاقدة القدرة على إحداث جمالية ما، إلا بما تعكسه من أشكال الأجسام التي تتراءى أمامها، إذ تنعكس صورة من يقف في مواجهة، ليشاهد شبحه المعكوس في هيئة مفاجأة، ومن ثم يستدرك حقيقته اللحظية بأنه علم بلا ملامح، يستكمل سيمائه وجنسيته من تشكيله البنائي الجديد. وإن حاول - الزائر - تلمس حدوده، فربما قطعت أصبعه بحواف معدنها الإستانليستيل الحاد، لأنها ذات متحفزة للدفاع عن نفسها المأزومة. كونها وادعة وفي اللحظة نفسها شرسة وماردة لا تتوانى، من فرط عزلتها، في دحر المقترب منها.

بهذا الديالكتيك الفلسفي يتقاطع شكل ومعنى العلم مع الذات التي أراد يسري أن يعبر عنها، فعَلَمه إذاً ليس كما نعهده، هو ليس علماً ليعلن بأي كيفية عن رمزية سياسية دولية، وليس علماً لكيان متجانس تحدده ألوان مختبرة ومحددة سلفاً، بقدر ما هو علامة تختصر عالم الفنان الخاص، عالمه الذي يحمل جزءاً من هويته الوجودية المعولمة، الآخذة من كل شيء والمتحققة في أي شيء... هكذا، ضمن هذا المحور التنظيري الشائك يمكن تُفهَم الحالة الإبداعية التي توصل إليها أيمن، صاحب شخصية «ديدبان». الشخصية التي ابتكرها لتكون مراقبة وساخطة وخرساء وفاضحة ولاعنة وبائسة. ومن هنا تكونت لفتة الفن الصادمة والهائمة في لجة الإحساس العميق (بورطته) التي عاقرها كإنسان معاصر منذ صغره، ولم يتنبه إليها إلا عندما جاوز الأربعين مع أزمة منتصف العمر، فالديدبان القابع بداخله وعى لذاته، فداهمته الفكرة وألحت عليه لينفذ المجسمات، باعتباره الشخصية القرين ذات الوجدان الحر في فطرتها البكر، غير عابئة بالاختبار الجمالي، بقدر ما تتقصى الإحالة للإدراك العقلي، لفهم المرئيات البصرية المبثوثة، وتفسيرها كموضوعات معنوية.

واستكمالاً لهذا المفهوم المباغت يتشكل العَلَم-الذات، متخذاً من لغة الطي آلية تفكك التحولات الفكرية والوجودية والإنسانية، متأثرة بما يدور في العالم من تقلبات دراماتيكية، لها أبعاد اقتصادية واجتماعية وأيديولوجية، كيما يولد منها الإنسان الراهن، ويجد نفسه في وضعية قانونية حتمية، مفروضة عليه في أي بقعة يعيش فيها من هذا العالم المحكوم بالدساتير والأنظمة المحددة لهويته الفردية وجنسيته السياسية، وبالتالي لحركة وجوده وتفاعله في الحياة.

من كل هذا، ومن إحساس الديدبان بانعدام القيمة وغياب الهدف، تستطيل لوحات الصفيح وتشمخ وتتلوى وتتكور وتتقوقع وتنبعج تحت ضربات مطرقته العنيفة، بل تص والسواد والموات، (وهي المتطاو سنتيماً، مشيراً في مواربة لجمع ٤٨ أرقام لها دلالتها التاريخية في ث الفلسطيني)، لكي تصوغ حالات در إلى تحقيق الخلود، هاربة من الح الشبيهة بالاندفان، في خضم التصن المُكبلة، فتبرز حقيقة الفرد اللام الإحساس بالهدف.

ولكي تتكامل الفكرة، ويتجلى المعرض اشتمل على ٤٩ إطاراً (بر موحد متوسط، بداخلها قصاص صغيرة لمنتجات وصور لعلامات تد تمثل شركات ملابس ومأكولات سري استهلاكية، وأوراق بنكنوت لفئة الدو صفدت كأعلام صغيرة، أو اشتغل ع فن طي الأوراق (الأوريغامي) في أب حيث لا يتعمد صنع أشكال جمالية الطي، إنما إحداث نوع من التركيب ا يكمل المفهوم وراء تسمية المجموع فهي أعلام الشركات العالمية التي وطأة تحكمها المعيشي، وهي في ال هويته: مأكله، مشربه، تسليته، عل ذاكرته، وجعه ووطنه الحقيقي.